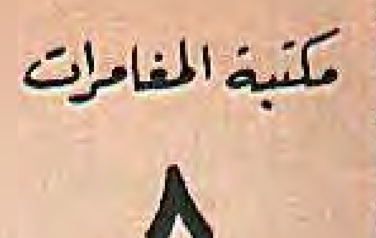


سقوط طائرة البوينغ

عبد الستار ناصر

مكتبة المغامرات
٨
سقوط طائرة البوينغ
عبد الستار ناصر

١

لم يكن على متن طائرة « البوينغ » التي سقطت في البحر الابيض المتوسط سوى ثلاثين راكبا خمسة منهم طاقم الطائرة .. وقد تم سقوطها بعد احتراق دام ست ساعات في الجو ، ولم يكن من سبيل الى النجاة الا بالمرور على امتداد البحر الابيض والبحث عن أقرب مكان أمين يصلون منه ــ بعد سقوطهم ــ الى اليابسة .. هذا اذا عاش أحد منهم واستطاع الخلاص من أعماق البحر ..

كانت الطائرة قد أقلعت من مطار مدريد في طريقها الى بيروت ، وكان مع الرجال ست نساء فقط ،

وطفلـة جميلـة واحـدة في التاسعـة من العمر اسمها « سندس » وأيضـا كان هنـاك صبي واحـد اسمه « كمـال » وكانت تلك أول رحلـة يرى فيهـا بعض خارطة العالم ، رأى لشبونة عاصمـة البرتغـال ورأى مدريد عاصمة اسبانيا ورأى برشلونة الميناء الجميـل . وكان دائمـا برفقـة أمه الغنيـة المشهورة « محاسن الشط » ولم يكن في بال أحد منهم أن تنتهي الرحلـة على هذه الصورة الموجعة الحزينة ..

قال الطيار الاول بصوت مرهق :

ـ أنا آسف على ما حدث .. أرجو لكم النجـاة .. المهم أن نكون جميعا في حذر شديد .. سترة النجاة لابد أن تظل ملتصقة بكم في كل الاحوال .. انها المنقذ بالنسبة لكل واحد منا .. كما ان الموانيء القريبة كلهـا تعرف بما يجري على متن هذه الطائرة ..

قال أحد الركاب وكان اسمه عدنان :

ـ أيها السـادة ، ليس من شيء مخيف مثل الخوف، ان ضبط النفس هو حزام النجاة بالنسبة للنسـاء قبـل الرجال ..

لكن هذا الكلام الذي امتد وطال داخل الطائـرة ـ قبل سقوطها ـ ضاع في هرج الذعر وعويل النساء ، لم يكن من أحد يصغي ، توج الخوف ملامح الجميع .. كان البعض منهم يصلي ويستغفر الله والبعض الآخـر أصابه الجزع ولم يعد يتكلم .. فقـد كانت الطائـرة تحترق وتنزل صوب البحر بسرعة خارقة ..

اما « سندس » و « كمال » فقد لف كل واحـد منهما نفسه بثلاث وسائد صغيرة ، واحدة تحت الرأس وثانية بين السـاقين وثالثـة بين أجسادهم وبين جـدار الطائرة ..

كان كل واحد من الركاب رغم رعبه وجنون الذعر الذي سيطر عليه يفكر في سندس وكمال .. ربمـا لان كل واحد منهم ترك طفلا في البيت وقد لا يراه بعد اليوم

•• من يدري !؟

وبعد ست ساعات من الاحتراق ، نزلت الطائرة بسرعة مجنونة الى أعماق البحر ، شعر جميع الركاب بارتطام رأس الطائرة في رمل البحر وبين أعشابه الخشنة •• كان الماء قد خفف كثيرا من حدة الارتطام ، وجعل قوة الطائرة وثقلها موزعا على قوة الماء وثقله •• والآن ••

أصبحت طائرة « البوينغ » في قاع البحر ، وفي أقل من ساعتين كان خبر سقوطها في البحر الابيض المتوسط قد أخذ الصفحات الاولى في صحف الدنيا ومجلاتها ، وكان الخبر يتكرر في اذاعات الكرة الارضية كلها •• وفي كل مرة كان الجميع يذكرون — بحزن كبير — ان في داخل الطائرة طفلة جميلة اسمها سندس وصبي في الثانية عشرة من العمر اسمه كمال ••

انتشر خبر هذين الصغيرين في كل بقعة من بقاع الدنيا ، وكان مع الخبر الذي سمع به وعرفه الجميع خبر



وبعد ست ساعات من الاحتراق ، نزلت الطائرة بسرعة مجنونة الى اعماق البحر

آخر يقول :

« ان سندس هي ابنة المليونير مهند خاشع ، وان كمال هو ابن السيدة محاسن الشط التي تملك نصف العمارات المطلة على الروشة في بيروت » ..

وكان هذا الخبر قد أيقظ الجشع والحيلة في قلوب العديد من اللصوص والمختطفين الذين يصغون الى هذا النوع من الاخبار بحماس منقطع النظير ..

وكان هناك من يسمع نشرات الاخبار ويكتب أسماء الصغار بذاكرة قوية !

* * *

في أعماق البحر الابيض المتوسط ، قرب سواحل ميناء (نابولي) الشهير جنوب ايطاليا ، كانت طائرة « البوينغ » قد وجدت لها مكانا لا تميل فيه ولا تتحرك ..

وعندما أفاق الطيار الاول من حالة الاغماء التي سيطرت عليه حال سقوط الطائرة وارتطامها في قاع

البحر ، راح يفتش عن الاحياء من الركاب ..

بدأ بالطفلة سندس فرآها في حال يشبه النوم وصوت أنفاسها يصعد بهدوء ، وسرعان ما ذهب الى كمال ، وكم كانت الدهشة عظيمة بالنسبة للطيار عندما رأى الصبي ينظر اليه ويبتسم ..

ـ الحمد لله ، لابد ان الجميع بخير ..

هذا ما قاله الطيار وهو يحدق في وجوه الركاب ، ثم بدأ الجميع الواحد بعد الآخر يستيقظون من اغمائهم ، هذا يرفع رأسه لا يكاد يصدق ما حدث ، وذاك يصرخ من شدة الفرح وهو يرى ان كل عضو من جسمه ما زال بخير ..

وعندما اجتمع شمل الركاب ، وجدوا أن عددهم ناقص وأن هناك شيخا عجوزا في السبعين من العمر كان قد فارق الحياة بسبب ارتفاع ضغطه أثناء الهبوط ..

لذلك أسرع الطيار وقال لمساعده :

ـ يجب أن نضع الجثة في مكان مغلق وبعيد عن الركاب ، بعد قليل يفسد الهواء داخل الطائرة .. اننا ننتظر النجدة من أقرب ميناء .. هيا ، ساعدوني ..

قالت أم كمال :

ـ لابد انهم يبحثون عنا .. اننا وسط الماء وتحت رحمة حيتان البحر .. ترى هل يبحثون عنا فعلا ؟!

قال المليونير مهند خاشع والد سندس وهو يضرب يدا بيد ويهز رأسه بشيء من العصبية :

ـ ليس من السهل أن يتم انقاذنا من هذه الورطة الكبيرة ، من الذي يستطيع انجاز هذا العمل بسرعة ؟

نظر اليه مساعد الطيار وقال بشيء من القسوة :

ـ هذا كلام لا يقال في مثل هذه اللحظات ..

عليك أن تساعد كبار السن والنساء بدلا من اشاعة الذعر بينهم ..

غضب مهند خاشع وقال بصوت عال :

ـ من أنت حتى تتكلم معي بهذه اللهجة ؟ أنا اشتري ألف واحد مثلك بنقودي ..

عند هذا الحد من الغضب الجارف جاء الطيار الاول ووقف بينهما قائلا بما يشبه الامر :

ـ لابد أن يتذكر كل واحد منكم ان الغضب والصراخ يأخذ الكثير من اوكسجين هذا المكان وان أي تصرف سيء يهلكنا جميعا .. دعونا نترك هذا الكلام الى وقت آخر .. مفهوم ؟

لكن مساعد الطيار ما زال هائجا ولم يستطع كظم غيظه فقال :

ـ اذا كنت تستطيع أيها المليونير شراء ألف واحد مثلي خارج هذه الطائرة المحطمة ، فأنت لا تساوي فلسين داخل هذا المكان ..

وقبـل أن ينطق المليونير بشيء استمر مساعـد الطيار يقول :

ـ نقودك لا تعني أي شيء أمام الموت وأمام سوء الاخلاق ..

عندها صار جميع الركاب الى جانب مساعد الطيار الذي كان منطقيا في أقواله ، وراح البعض يضحك من هذا المليونير المغرور ، اما سندس الصغيرة فقد أحزنها ما بدر من أبيها ، وراحت تبكي في زاوية من الطائرة ..

رآها كمال وأحس ان عليه الذهاب اليها ومواساة أحزانها والجلوس معها حتى يخفف من هذا الحزن الذي طرأ على الجميع وعلى سندس بشكل خاص ..

لكن كمال ما ان اقترب من الصغيرة حتى صرخ مهند خاشع في وجهه وقال له :

ـ ماذا تريد منها ؟ اتركها وابتعد عنها ..

شعر كمال بالخجل ، وأحس الجميع بالكثير من

الحرج وصار البعض منهم ينظر خلسة الى (أم كمال) التي أخذت ابنها وهي تحدق في وجه المليونير ـ باحتقار شديد ـ دون أن تفتح فمها بحرف واحد .. لكن أحد الركاب قال بصوت مسموع

ـ ترى كيف تكون أخلاق هذا الرجل اذا كان بعيدا عن هذه الورطة وعن تهديد البحر لنا ؟

وابتعد عنه الجميع يفكرون : كيف سيكون انقاذهم من هول هذا البحر العظيم ؟

★

في الوقت نفسه ، خارج البحر ، عند مكان مجهول بعيد من مدينة نابولي ، اجتمع ثلاثة من الرجال يفكرون في خطة يخفون بها (سندس) و (كمال) حتى يتم لهم تهديد أهلهما وابتزاز النقود منهما ..

كان الرجل الاول وهو رئيس العصابة ـ واسمه

بنيامين ــ يحتسي البيرة ويدخن سيجارة ينفث دخانها في وجه صاحبه الذي يجلس على يده اليسرى ، ويقول بصوت متحشرج :

ــ أقترح أن نكون مع مجموعة الانقاذ التي ستأتي الى ساحل نابولي بعد وقت قصير ــ ربما بعد ساعتين ــ وعندما نجد الفرصة المناسبة نختطف الطفلين ••

قال الثاني وهو رجل سمين ذو كرش ويبدو عليه الغباء :

ــ ولماذا نكون معهم ؟ ننتظر حتى ينتهي الجميع من انقاذ الركاب ونأخذ الطفلين بعد أن نستخدم السلاح اذا تعرض لنا أحد منهم ••

أما الثالث واسمه (جون) فقد قال بحماس كبير :

ــ لابد أن نضع في اعتبارنا ان انقاذ الركاب واخراج الطائرة من البحر الابيض سيجعل آلاف الناس

في هرج ومرج وحتما سيأتي عدد كبير من البشر ليروا ما يحدث ، وعندها يكون من الصعب أن تتصرف بحرية بين هذا الجمع العظيم من الناس ••

ثم سكت قليلا وقال كأنه تذكر شيئا خطيرا :

ــ وهناك أيضا الصحفيون والمصورون ومراسلو وكالات الانباء ، ولابد من الحذر لئلا نظهر في احدى صورهم •• هذا أخطر ما قد يجري في عملنا !

لكن بنيامين كان له رأي آخر ، حيث قال بصوته المتحشرج :

ــ هذا كلام صحيح ، ولكن هذا يناسبنا اكثر ، اذ اننا سوف نضيع بين هذا العدد الجبار من البشر ، واذا كنا مع فرقة الانقاذ لن يشك بأمرنا أحد •• شرط أن نخفي وجوهنا عن آلات التصوير في اللحظة المناسبة •• ان العملية لن تأخذ اكثر من ساعتين فقط !!

ثم نظر الى الرجل السمين الغبي وقال له :

ـ سنكون أنا وجون مع مجموعة الانقاذ وأنت وحدك تنتظر في سيارتي « الفراري » وكن على أتم الاستعداد للانطلاق حال اقترابنا منك ..

قال له جون :

ـ واياك أن ترتبك كما في كل مرة رأيناك فيها .. احترس وتذكر انها عملية كبيرة جدا ..

قال بنيامين ضاحكا :

ـ حاول مرة واحدة في حياتك أن تصير ذكيا .

قال السمين وهو يضحك :

ـ كم هو المبلغ الذي سنطلبه من الوالدين ؟..

عندها لم يستطع (بنيامين) الا أن يضرب السمين ويقول بصوت عنيف :

ـ أيها الغبي ، ليس هذا وقت التفكير بالنقود .. المهم أن يكون الاولاد معنا وبعدها نفكر ..

ضحك السمين وقال بصوته المهزوز :

ـ نعم نعم ، كلامك معقول يا معلم ..

★

في داخل الطائرة ..

شعر البعض من الركاب أن هناك ثقبا صغيرا في غرفة القيادة يتسرب منه الماء .. أسرع واحد منهم وسد الثقب بوسادة ، لكن الماء تسرب من الوسادة بعد أن تبللت بسرعة ..

ضحك البعض رغم جو المأساة الذي يسيطر عليهم، وقال الطيار وهو يقترب من الركاب :

ـ لابد من شيء مدبب يكفي لسد هذه الثغرة ، وأيضا لابد من مراقبة هذا الجانب من هيكل الطائرة مراقبة دقيقة ..

عندها تبرع كمال الصغير أن يكون في غرفة القيادة ليرى بنفسه ما يجري .. قالت له أمه :

ـ عليك الحـذر وايـاك أن تنـام ، اذا شعرت بالنعاس اخبرنا بذلك فورا ..

وبسبب الخجل الذي شعر بـه والد « سندس » فقد سمعه الجميع وهو يقول :

ـ ستذهب ابنتي سندس قرب كمال حتى يكونا معا حارسين على هذا الثقب الذي يتسـرب منـه ماء البحـر ..

قال أحد الركاب :

ـ هل يكفي هذا أيها الطيار ؟

أجابه الطيار :

ـ الاطفال أفضل منا في مراقبة المكان .. انهـم حريصون جدا في مثل هذه الاحوال ..

ثم انصرف الجميع يفكرون في حل لهذه المحنـة بعد أن تم سد الثقب بصورة محكمـة .. حيث بدأت كمية الهواء تفسد شيئا بعد شيء ودقيقة بعد أخرى ..

قال الطيار الاول :

ـ يجب أن يسكت الجميع .. علينـا أن تتنفس بصورة طبيعية بلا خوف .. أنا واثق ان فرق الانقـاذ قريبة منا .. اكثر الموانيء في حالة انذار واستعداد لمثل هذه النكبات ..

وساد الصمت داخل الطائرة ..

راح البعض ينظر من نوافذ الطائرة الى أسـماك البحر وحراشفه وأعشابه الغريبة .. كم هو عجيب عالم البحر ! هناك أنواع وأشكال لا تحصى من الحيـوانات المائية .. أسماك صغيرة تهرب من أسماك أكبر منها ..

وقرب النوافذ كانت الحيتان وأسـماك القـرش تداعب جسد الطائرة المحطم ..

وفجأة ..

لم تصدق والدة كمال ما رأت ، وصرخت بصوت عال :

ــ انظروا جميعا •• ما هذا الذي يتــد حــول الطائرة ؟

ونظر الجميع بلهفة ممزوجــة بالخوف الى المكان الذي أشارت اليه محاسن الشط •• فرأى الجميع آلات الانقــاذ الممدودة من سطح البحــر الى أعماقــه لتنقذ النفوس اليائسة من الموت ••

وفي نفس الوقت ســمع الركاب صـراخ سندس وكمال ، ما أن ذهب مساعد الطيــار حتى رأى الثقب الذي يتسرب منه الماء قد توسع اكثر ••

وصار الماء يدخل بغزارة من البحــر الى داخــل غرفة القيادة •• صرخ أحد الركاب :

ــ سنغرق قبل أن يتمكنوا من انقاذنا •• النجدة يا رب ••

ذهب الطيــار الى غرفــة القيــادة ، ويا لهــول ما رأى ، ان الثقب صــار أكبر فعــلا بسبب الضغط

الرهيب على هيكل الطائرة •• ولم يعــد مــن الممكن ترميمه الا بجهد كبير • وليس في الوقت متسع لهــذا الجهــد •

قال مساعد الطيار :

ــ أفضل الحلول هو أن نغلق باب القيادة • انــه باب قوي متماسك ، ونحــاول ألا نجعل الماء يتســرب منــه ••

قال شيخ كبير من بين الركاب :

ــ ولكن هذا عمل خطير جدا •• قد تنكسر الباب في أية لحظة ••

قال له آخر :

ــ وهل في أيدينا حل آخر ؟ اننا نواجه الموت ••

قال الطيار بصوت قوي :

ــ ليســكت الجميــع •• اتركونا نعمل بسلام ••

ليس هذا وقت مشاحنات .. أننا نعرف أفضل منكم بما نفعل ..

ثم التفت الى مساعده وقال له :

ـ كلامك معقول .. اسرع .. اغلق باب القيادة وتعال معي نرى بقية ما يجري في الطائرة ..

★

خرج كمال وسندس من الغرفة مبللين بماء البحر ، وأسرع الطيار بغلق الباب بصورة محكمة وقال لجميع الركاب :

ـ علينا أن نحذر .. ان أي خطأ قد يقتلنا جميعا .. اذا رفعوا الطائرة من هذا المكان يجب أن نحاول جميعنا عدم الاقتراب من هذه الباب مهما كان السبب لئلا تنكسر وينزل علينا ماء البحر فنغرق كلنا ..

قال عدنان أحد ركاب الطائرة :

ـ سأحرس الباب بنفسي .. لئلا يسقط أحد منكم عليها .. كل واحد يجلس في مكانه بلا حراك ..

قال له الجميع :

ـ بارك الله فيك يا سيد عدنان ..

قالت امرأة :

ـ اننا نثق بك يا سيد عدنان ..

ثم شعر الجميع ان السلاسل الفولاذية قد تمكنت من لف الطائرة مثل طفل رضيع .. ولم يعد بينهم وبين النجاة سوى لعبة الحظ أو سوء الحظ ..

وبعد نصف ساعة ارتفع جسد الطائرة المحطمة .. ارتفع ببطء شديد وكان (عدنان) ذو العضلات البارزة يحرس باب القيادة ..

صرخ الطيار كأنه تذكر شيئا :

ـ كل واحد يجلس في مكانه ويشد حزام النجاة .. لا أريد أن أرى أحدا يتحرك ..

كان هذا الكلام قد سمعه الركاب قبل قليـــل .. لكنهم عندما قاله الطيار صار له وقع آخر في النفوس ..

وراح كل واحد منهم ينفذ أمر قائد الطائرة ..

★

بقي عدنان بمفرده حارسا لباب القيادة ..

لكن ضغط المـاء وقوة الدفـع التي يسببها موج البحر كادت أن تهشم الباب .. لذلك راح عدنان يصرخ عاليـا :

ـ ليسرع أحدكم ويأتي معي ..

صرخ أحدهم :

ـ علينا أن نحافظ على هذا البـاب مغلقـا حتى نصل سطح البحر ..

وما أن تحرك مساعد الطيار لنجدة عدنان ، حتى مالت الطائرة ميلا رهيبا بسبب حركة الامواج العنيفة..

وقبل أن يصل مساعد الطيار قرب عدنان ، قفزت جثة الشيخ العجوز من مكانها الى حيث يقف عدنان ..

هلع الركاب مـا جرى ، واعتبرها البعض بادرة شؤم خطيرة وانها تذكير بالموت الذي يتربص بهم ..

لكن والد سندس قام من مكانه وتمكن من رفع الجثة وأجلسها على مقعد وشد عليها الحزام بقـوة .. كل هذا جرى بسرعة وانتباه شديد ..

قال الطيار وهو يبتسم للمليونير :

ـ شكرا على ما فعلت .. هـذا تصـرف حكيم يا سيد مهند .. ارجع الى مكانك الآن ..

ثم اقترب مساعد الطيار ووقف جنبا الى جنب مع عدنان وهو يردد :

ـ القليل من الصبر أيها العزيز .. اننـا نصـل سطح البحر ، أنا أعرف المسافة ، انها مجرد أمتـار قليلة .. ونصل باذن الله ..

سمعته واحدة من النساء فقالت وهي تنظر الى أسماك البحر الهائجة :

ـ الله يسمع كلامك وينقذنا ..

كانت أم كمال (السيدة محاسن الشط) تمسك يد ابنها وتدعو الله أن ينقذ الجميع ..

ولم يكن من أحد يدري حتى تلك اللحظة الحرجة بأنهم قد وصلوا سطح البحر ، حتى امتلأت الطائرة بضياء الشمس الرائع .. عندها غرق الجميع في بكاء الفرح العميق ..

على الجانب الثاني كان آلاف البشر يصفقون ويصرخون للطائرة التي خرجت من أعمق أعماق البحر.. ولكن ..

كان هناك من يخطط لسرقة الأطفال ويتربص بين المحتشدين حتى يجد الفرصة المناسبة .. وهل تراها ستأتي ؟

٢

في التلفزيون ظهرت المذيعة الشقراء تقول :

ـ تم بعد ظهر هذا اليوم انقاذ ركاب طائرة البوينغ ٧٠٧ التي سقطت في البحر الابيض المتوسط قرب سواحل مدينة نابولي الايطالية ، وقد تمكنوا بجهد عظيم انقاذ الطائرة وركابها رغم قوة الامواج التي كادت أن تحول دون انقاذهم ..

ثم عرض التلفزيون لقطة جميلة لعملية الانقاذ بينما استمرت المذيعة الشقراء تقول :

ـ وقد علمت وكالة الانباء ان شيخا في السبعين من عمره قد توفي اثناء سقوط الطائرة من بين ثلاثين

راكبا كلهم في صحة جيدة ..

وفجأة ..

نظرت المذيعة الى جمهور المشاهدين وهي تقـول بعد أن استلمت ورقة جاءتها أثناء اذاعة الخبر :

ـ سيداتي آنساتي سادتي ، وصلنا هذا الخبر الآن من ايطاليا عبر الاقمار الصناعية ..

وراحت بشيء كبير من الانفعال تقول الخبر كلمة كلمة :

ـ استطاع بعض المجرمين اختطاف الطفلة المسماة سندس ابنة المليونير المعروف مهند خاشع ، كما تمكن المجرمون أنفسهم من اختطاف الصبي كمال ابن السيدة اللبنانية محاسن الشط ولم يعرف مصيرهما بعد .. وذكر مراسل وكالة الانباء ان السيارة التي هرب بها المجرمون اختفت من مدينة نابولي بعد ساعة واحدة من

الحادث ..

كان هذا الخبر قد هز وجدان الناس ، واستنكرته الانسانية في كل مكان ..

وانقلبت سعادة المليونير والسيدة محاسن الشط الى حزن كبير ..

★

في سيارة « الفراري » السريعة والتي تمت فيها عملية الاختطاف كان كمال وسندس يبكيان من الخوف .. فقد ضربهما (بنيامين) حال صعودهما السيارة حتى يثير في قلبيهما الرعب من أول لحظة ..

كان بنيامين يلقب بين صاحبيه باسم « الوحش » لانه رجل لا يعرف الرحمة أبدا .. ولا يتسامح مطلقا ..

وراحت السيارة « الفراري » تقطع الطريق بسرعة

١٥٠ كيلومترا في الساعة الواحـدة ، واتجهت الى مكان مهجور بعيد خارج ميناء نابولي ..

قال السائق السمين :

ـ كان علينا أن تتذكر المشروب .. كيف نسينا ؟ لابد اننا سنمضي وقتا طويلا في هذا المكان البعيد .. ماذا نفعل ؟

صرخ به جون :

ـ انتبه الى الطريق .. أنا دبرت كل شيء ..

ثم ضحك منه وقال :

ـ هل كنت تعتقد بأنني مثلك لا أعرف ما أفعل ؟

ضحك بنيامين الوحش وقال بصوته المتحشرج :

ـ انه لا يفكر أبدا .. ولكن هذا أفضل .. أليس كذلك ؟..

ولاول مرة ظهر الضجـر والاستيـاء على وجـه

السمين وشعر بأنه غريب بين هذين الرجلين مع انه قطع نصف عمره معهما ..

وفي المرآة العاكسة التي أمام عينيه ، كان يرى وجه الطفلة سندس وهي تبكي .. بينما كف كمال عن البكاء وصار ينظر الى امتداد الطريق وهو يتساءل بينه وبين نفسه :

ـ ترى الى أين يأخذونا هؤلاء المجرمون ؟

انتبه اليه بنيامين الوحش ، فقال لصاحبه جون :

ـ لا تتركه يرى المكان الذي نذهب اليه ..

اغلق عينيه بمنديل ..

قال جون :

ـ وهذه الطفلة أيضا ؟

لكن بنيامين أجاب :

ـ انها لا تفهم .. اتركها ..

وبعد قليل ، لم يعد « كمال » يعرف الطريق أو يفهم ما يدور ، لكنه ازداد رغبة في الانتقام وتمنى لو انه اكبر سنا ، حتى يستطيع أن ينتقم لنفسه .. وفكر في امه طوال الطريق .. فقال مع نفسه :

ـ مسكينة امي .. لابد انها ستدفع لهم الكثير ..

وكانت نفس هذه الافكار تدور في رأس الصغيرة سندس بينما السيارة « الفراري » ما زالت تسير بسرعة ، تقطع مئات الكيلو مترات الى « الوكر » الذي يختفي فيه بنيامين الوحش وجون والرجل السمين الذي بقي صامتا طوال الوقت وكان يفكر مع نفسه :

ـ انهم يكرهونني ويضحكون مني .. المهم النقود وبعدها لن أراهم أبدا .. أبدا ..

نظر اليه جون وأحس بشيء يدور في رأس هذا السمين ، لكنه لم يسأله وانما راح ينظر الى بقية

الطريق .

★

في الجانب الثاني من مدينة نابولي ..

كان مهند خاشع والد سندس ومحاسن الشط والدة كمال ، يجلسان في مكان قريب من منطقة الحادث وهما يفكران في حل لهذه المصيبة بعد أن عجزت الشرطة عن معرفة هوية وحقيقة هؤلاء المختطفين ..

لكن اليأس لم يتسرب بعد الى نفوس الجميع .. كانت هناك اكثر من بارقة أمل في الوصول الى المجرمين ..

قالت محاسن الشط وهي تكاد أن تبكي :

ـ ماذا نفعل ؟ لابد انهم يريدون ابتزازنا فقط..

أجاب مهند خاشع :

ـ هذا اكيد ، ولكن كيف نتصل بهم ؟

نظرت محاسن الى البحر الممتد من المجهول حتى المجهول وقالت :

ــ من كان يصدق أن نحيا من جديد ، ومــن كان يدري ان البعض من المجرمين كان يتربص بنا الى هذا الحد ؟

أجابها المليونير مهند :

ــ بدأت أشعر بأنني تغيرت حقا بسبب ما جرى !

جاءهم ــ في تلك اللحظة ــ مفوض شرطة نابولي مع أحد رجاله وقال لهما باحترام كبير :

ــ نحن آسفون على ما حدث ..

ثم جلس معهم وهو يقول :

ــ يبدو أن هؤلاء المجرمين ينتظرون استقراركما في مكان معــروف حتى يتم الاتصال بكما .. هــل يمكن البقاء معنا يا سيد مهند وأنت يا سيدة محاسن ؟ هناك فندق جديد في وسط المدينة .. ما هو رأيكما ؟

قال المليونير كأنه نسى ابنته سُندس :

ــ عندي أعمال ومشاريع كبيرة جدا في القاهرة وبغداد وبيروت .. ولست ادري حقا ماذا أفعل ؟

نظرت اليه محاسن الشط وقالت :

ــ هل هذا موعد اعمال ومشاريع وابنتــك المسكينة في قبضة مجرمين لا يعرفون الرحمة ؟

قال المليونير بخجل :

ــ معك حق يا سيدتي ولكن الناس لا ترحم .. سخرت منه أم كمال بقولها :

ــ قبل ساعات كنت قاب قوسين من المــوت يا رجل .. احمد ربك على نعمة النجاة .. لا أدري كيف تفكر أنت ؟

ثم سكتت هنيهة قالت بعدها :

ــ النقود يجب أن تكون في خدمتنا ومن العيب

أن نصبح نحن في خدمة النقود !

ضحك المفوض وقال لهما :

ـ على أية حال ، لابد أن يعرف المجرمـون عنوانا ثابتا لكما حتى تعرف ما يريدون منكما ..

ثم نظر الى رجل الشرطة الذي معه وأخذ منه ورقة قال وهو يقرأ بعض سطورها :

ـ سنقول انكما تسكنان فندق « كالينـو » وحتما سيعرف هؤلاء الطريق اليكما ..

★

ذهب المليونير مهند خاشع والسيدة الغنية محاسن الشط الى فندق « كالينو » اكبر فنادق مدينة نابولي وصار كل واحد منهما ينتظر بفارغ الصبر أن يتصل به المختطفون ..

في جلسة قصيرة في مطعم « كالينو » قـال



من كان يصدق أن نحيا من جديد ومن كان يدري ان البعض من المجرمين كان يتربص بنا الى هذا الحـد ؟

المليونير وهو يضحك في وجه محاسن :

ـ لم اكن أعرف أنك فيلسوفة .. كلامك جعلني أخجل من نفسي ..

لكن السيدة كانت في شغل شاغل عنه ، حيث راحت تطيل النظر الى وجوه الزبائن لعلها تكتشف أي دليل يوصلها الى كمال وسندس ..

الساعات تمر بطيئة قاتلة ، والايام الثلاثة الاولى انقطعت بلا رنين هاتف ولا رسالة ولا أية اشارة الى مكان الصغار اللذين كانا حتى تلك اللحظة الحرجة تحت رحمة بنيامين الوحش وجون والرجل السمين البليد ..

وفي اليوم الرابع ، في الصباح ، رن الهاتف في غرفة السيدة محاسن والدة الصبي ..

اهتز جسدها وشعرت بالخوف من هذا الرنين ، لكنها في لمح البصر أخذت سماعة التلفون وراحت

تقول :

ـ نعم ، آلو ، أنا محاسن أم كمال .. آلو .. آلو ..

ولكن لم يرد عليها أحد ..

واستمرت تصرخ في التلفون :

ـ آلو .. أنا محاسن الشط .. أرجوك تكلم .. ماذا تريد ؟ من أنت ؟ أنا مستعدة لما تطلبون .. آلو .. آلو ..

وبعد نصف دقيقة فقط ، شعرت أم كمال ان التلفون قد انغلق من الجانب الثاني ، وكانت واثقة ان من اتصل بها لم يكن سوى واحد من المجرمين ..

راحت تقطع غرفتها ذهابا وايابا لا تدري ماذا تفعل على وجه التحديد ، فها هي قد سكنت فندق « كالينو » كما أشار عليها مفوض الشرطة .. ولكن

بلا نتيجة حتى الآن !

فتحت باب غرفتها ، ثم أغلقتها بلا سبب ، كانت الحيرة تفتك بها والحنين الى ابنها الوحيد كمال يأكل كل اعصابها ..

ـ ترى أين أنت الآن يا كمال ؟ ماذا تفعل ؟ هل أكلت ؟ هل تراهم ضربوك ؟!

ثم انتظرت أن تسمع رنين التلفون ولكن بلا فائدة ، حتى غابت الشمس ..

وبدأ الظلام يتسلل الى سماء المدينة ، كم هي جميلة هذه البلاد وكم كانت أجمل حين كان (كمال) معها وبين يديها .. لكنه ضاع وليس من أحد يدري بمصيره ومصير تلك الصغيرة سندس ..

★

في تلك اللحظة رن جرس التلفون مرة ثانية ..

اسرعت محاسن الشط تقول بلهفة اكبر وخوف

عميق :

ـ تكلم أرجوك .. لا تغلق التلفون .. أنا محاسن والدة الصبي الذي معكم ، أنا وحدي ، لم أخبر البوليس عنكم ، قل ما تريد ، تكلم .. انطق .. آلو ..

عندها سمعت صوتا متحشرجا قبيحا ، يقول لها :

ـ ابنك معنا ، سافري الى بيروت حالا ، وسيأتي من يتصل بك هناك ..

ثم قال بلغة مملوءة بالتهديد :

ـ ارحلي بسرعة قبل أن تفقدي هذا الولد الجميل ..

وعندما أرادت أن تتكلم كان الجانب الثاني قد أغلق باب الحديث بقسوة .. وراحت محاسن تصرخ مع نفسها عن هذا المصير الغامض لطفل ما زال في بداية العمر !..

ولم يرن جرس التلفون مرة اخرى في نابولي ..

★

تكرر هذا الطلب الغريب مع المليونير مهند خاشع والد سندس ، وقيل له أن يغادر أرض ايطاليا كلها ويذهب مسرعا الى بيروت ..

وحدث هذا فعلا ..

حيث غادر مهند خاشع ومحاسن الشط أرض نابولي وفندق « كالينو » متجهين الى لبنان الجميلة..

في مطار روما كان مفوض الشرطة ينتظرهما مبتسما وهو يقول :

ـ لقد سمعنا الكلام الذي دار بينكم وبين العصابة .. وقد أخذنا (صوت) المجرم الى المختبر لعلنا نعرف من يكون ..

قال المليونير :

ـ نريد أن نرى الاطفال بخير .. وهذا هو المهم ..

ثم صعدا الى الطائرة وتذكرا كيف سقطت بهما طائرة البوينغ في أعماق البحر الابيض المتوسط .. لكنهما هذه المرة دون سندس وبلا كمال ..

بدأ القلق يزداد في قلب محاسن الشط ، ولم تعد تدري كيف تتصرف .. سوى انها ــ ما أن وصلت بيروت ــ حتى بقيت في قصرها المنيف المطل على البحر تنتظر ما يأمر به هؤلاء المجرمون ..

وكان هذا نفس ما فعله المليونير مهند خاشع حيث أخذ له جناحا في فندق « هوليداي ان » وبدأ يفكر في مصير ابنته الصغيرة ..

●

٣

سافر « بنيامين » الوحش الى بيروت .. تاركا صاحبيه جون والرجل السمين في المكان المهجور من نابولي ، وكان كمال وسندس قد اصبحا في حال يرثى له من الحزن والشوق الى الحرية والاهل ..

قرأ في صحف بيروت ان المليونير مهند خاشع يسكن في فندق « هوليداي ان » وان السيدة الغنية محاسن الشط رجعت الى قصرها الباذخ المطل على البحر الابيض ..

كان بنيامين هذا من اكثر الناس قدرة على اخفاء نفسه خلف أقنعة عديدة ، فهو مرة بشعر كثيف ولحية طويلة ، ومرة ثانية قد تراه أصلع أو أعور أو مجروحا في خديه ، مرة بثياب رجل فقير شحاذ ومرة بلباس ثري

من الأثرياء الكبار .. وربما تعثر عليه بزي عسكري لجنرال كبير كما انه يعرف العديد من اللغات والعربية بوجه خاص .

وهكذا أتعب رجال شرطة ايطاليا كلها طوال عشرة أعوام كاملة دون ان يتمكن أحد منهم من معرفة شكله الحقيقي ، حتى ان بعض الناس صارت كثيرة الشكوك بأنه واحد من نفس رجال الشرطة .. وانه يفعل كل شيء تحت هذا الستار من الاقنعة ..وساءت الامور وتشابكت بسبب هذا الرجل الغريب .

وعندما دخل بيروت ، كان يبدو عليه الثراء والنعمة ، يلبس نظارتين سوداوين وهناك لحية قصيرة (سكسوكة) في أسفل ذقنه المدبب وبدلة ناصعة البياض ..

كان يحمل جواز سفر ايطاليا مكتوبا فيه أن اسمه (تيرنس فان) وانه من مواليد مدينة روما ..

ليس من شيء في مظهره يدل على حقيقته أبدا .

لذلك دخل فندق « هوليداي » الذي يسكن فيه المليونير مهند خاشع وأخذ له جناحا لصق جناح المليونير ..

ومن هذا المكان بدأ الخطة التي رسمها في مخيلته لابتزاز الكثير من نقود محاسن الشط أم كمال ونقود مهند خاشع والد سندس ..

استنشق الكثير من هواء بيروت النقي ، وكان يضحك في قرارة نفسه . فها هو مقبل على ثروةجديدة مضمونة لا متاعب فيها ..

★

كان اول شيء فعله بنيامين الوحش أخذ معلومات كافية عن المكان الذي يسكن فيه كل من محاسن ومهند ، وحاول بكل ما يعرفه من مكر وحيلة أن يكتشف مكامن رجال الشرطة وما اذا كان المليونير أو محاسن الشط قد نصبا له (فخا) .. رغم انه يحتفظ بالرهائن في (نابولي) بل في مكان مهجور

وبعيد عن نابولي ، وليس من خوف على النقود التي لابد أن يحصل عليها .. ولهذا كان بنيامين اكثر ارتياحا هذه المرة من كل المرات السابقة التي مارس فيها مختلف الجرائم ..

عند المساء ذهب المليونير مهند خاشع الى مطعم الفندق وشرب قنينة بيرة واحدة ووجبة عشاء فاخرة.. ولم يكن يبدو عليه الحزن الشديد كما هو الحال مع السيدة محاسن ..

والشيء الذي لا يعرفه مهند ، ان الذي كان يجلس قربه ، بل على بعد مترين منه ليس الا « بنيامين » المحتال الذي اختطف ابنته سندس .. ومن أين له أن يصدق ان هذا الرجل الثري الكبير ليس سوى مجرم ، وان بين يديه وتحت رحمته تعيش ابنته المسكينة مع كمال الصغير !

استغل بنيامين هذه الفرصة ، فأسرع الى غرفة المليونير ودخلها من الشرفة المحاذية لشرفة غرفته ..

وترك له ورقة رماها فوق فراشه كتب فيها يقول :

ـ « عليك تدبير مبلغ نصف مليون دولار واخبر والدة الصبي بتدبير نصف مليون دولار أيضا .. أستلم منكما النصف الاول هنا في بيروت والنصف الثاني في نابولي .. اريد النقود غدا وبلا متاعب.. اذا عرف البوليس بهذا الامر يكون الاطفال تحت رحمة السكين .. غدا أستلم المبلغ وبعدها تسافران الى نابولي لاستلام أبنائكما .. بالمناسبة انهما بخير وينتظران الافراج عنهما بشوق كبير جدا » ..

ثم عاد بنيامين الى المطعم وجلس في نفس المكان يتناول وجبة العشاء بهدوء .. بينما كان يحدق ـ من تحت نظارتيه ـ الى وجه مهند خاشع ويبتسم بخبث عجيب !

★

ما أن رجع المليونير الى غرفته ، حتى قرأ الورقة

التي كتبها بنيامين .. واستغرب كيف وصلت هذه الورقة الى غرفة نومه وعلى فراشه !

وما عاد يعرف ما يفعل فعلا .. سوى ان يتصل بأم كمال .. وأخبرها بأمر الورقة .. ثم اتفقا على لقاء سريع في بهو الفندق الكبير ..

بعد نصف ساعة ..

وصلت السيدة محاسن الشط الى بهو (الهوليداي ان) بسيارتها الفاخرة .. ورآها بنيامين الوحش .. وكان يعرف ملامحها من الصور الكثيرة التي نشرتها الصحافة في كل مكان ..

في الوقت الذي استقبلها المليونير وأوسع لها مكانا على مائدته كان بنيامين يضحك مع نفسه ويردد مثل مجنون :

ـ مليون دولار .. انه مبلغ عظيم ..

في الجانب الثاني من البهو كان المليونير يقول

بصوت هامس مؤدب :

ـ انه يريد نصف مليون دولار من كل واحد منا .!

قالت أم كمال :

ـ والاطفال ؟ كيف يرجع الينا أطفالنا ؟ ربما ضاعت نقودنا مع اطفالنا .. ماذا كتب في الورقة غير الكلام عن الفلوس ؟

أجاب مهند خاشع :

ـ تفضلي .. هذه هي الورقة .. علينا ان ندفع نصف المبلغ هنا ونسافر الى هناك نعطيه النصف الثاني ونستلم سندس وكمال ..

لكنها صرخت بصوت سمعه الكثير من زبائن الفندق :

ـ وكيف نستلم سندس وكمال ؟ هذا كلام

غامض يا سيد مهند .. كلام غامض جدا .. أنا لا أثق بمن كتب هذه الورقة أبدا .. قد يكون مجرد شخص يعرف ما نحن فيه ويأخذ النقود ونخسر كل شيء بلا مقابل !

قال المليونير :

ـ وهل أمامنا حل آخر ؟ ثم انه لابد أن يخبرنا بشيء جديد حتى نطمئن ..

قالت محاسن الشط :

ـ أنا أدفع النقود ، شرط أن يكون من كتب الورقة هو المجرم الذي اختطف ابني ..

ضحك المليونير وهو يذكرها بشيء :

ـ وابنتي أيضا يا سيدتي !

لكن بنيامين الوحش كان يعرف ما يفعل ..

فقد أراد تهشيم أعصاب المليونير ومحاسن الشط

حتى يضمن لنفسه الحصول على النقود ..

وفي تلك الدقائق ذهب الى غرفة التلفون وترك ورقة ثانية كتب فيها يقول :

ـ « سندس وكمال بخير ، ما أن نستلم النصف الاول من الدولارات حتى تجدوهما في مقهى « لازار » جنوب نابولي قرب السوق التجاري .. نحن لا نريد اكثر من مليون دولار وهي قليلة قياسا لحياة هذين الطفلين الرائعين .. أليس كذلك ؟ لا جدوى من الشكوك بأمرنا .. الوقت لا يتسع للظنون » .

وما أن ترك الورقة في غرفة التلفون ، حتى سمع الجميع صوتا يقول في مايكروفونات الفندق :

ـ السيدة محاسن الشط مطلوبة في غرفة التلفون ، هناك رسالة تنتظرها ..

وذهبت أم كمال الى هناك ، ورأت الورقة التي كتبها بنيامين .. ما أن قرأتها حتى جاءت تركض وتكاد

تقع من الخوف الذي لبسها بلا سبب ..

جاءت مسرعة الى حيث يجلس مهند خاشع الذي كان يفكر في حل معقول لهذه الورطة ..

قالت محاسن وهي تلهث من الجزع :

ــ خذ اقرأ ..

ثم استراحت على أقرب كرسي وهي تقول :

ــ انه يكرر الطلب .. كأنه يسمع حديثنا ..

ونظر المليونير حوله مستغربا ، أن يأتي الجواب على أفكاره بهذه السرعة :

ــ يا للعجب .. حقا ، كأنه كان يسمعنا ونحن نتكلم !

قالت محاسن الشط :

ــ أنا قررت أن أدفع رغم انني ما زلت كثيرة الشكوك ولا أحبذ هذه الطريقة في التعامل ..

ضحك المليونير وهو يقول :

ــ وهل تريدين أن يظهر ويقول لك أنا الذي سرقت ابنك من أمام عينيك ؟

ثم سكت المليونير ولم يعرف حقيقة ما يدور .. لكنه قال بعد صمت لم يدم طويلا :

ــ وكيف ندفع لهم النقود ؟ لمن ندفع ؟ اننا نتعامل مع أشباح لا نراها ..

قالت محاسن الشط :

ــ انهم يعرفون الطريق الى أموالنا .. كان علينا أن نكون حذرين عندما خرجنا من حطام الطائرة .. كيف نسينا ان آلاف الناس تدري بأننا أغنياء وانهم يطمعون في نقودنا ؟

قال المليونير كأنه تذكر شيئا منسيا في أعماق النفس :

– المهم .. الحمد لله اننا لم نمت في أعماق البحر .. كما ان الاطفال – رغم كل شيء – هم بخير .. ان هذه الاموال التي ستذهب هي ثمن النجاة ..

في تلك اللحظة كانت هناك ورقة ثالثة قد وصلت – مع النادل – الى حيث يجلس المليونير .. تقول الورقة :

– « في الساعة العاشرة من صباح الغد ، نريد النقود ، وسوف اخبركم عن المكان الذي تضعان فيه المبلغ .. الساعة العاشرة . لا اريد أي تأخير .. أصحابي ينتظرون أخباري وأولادكم ينتظرون ساعة انقاذهم من البكاء » ..

أسرع المليونير الى النادل .. يريد أن يسأله عمن أعطاه تلك الورقة ..

لكن النادل كان قد اختفى تماما من الفندق ..



وهل كان ثمة من يدري ان هذا النادل هو نفسه (بنيامين) الوحش ؟

وهل كان ثمة من يدري ان هذا النادل هو نفسه النزيل الثري « تيرنس فان » أي بنيامين الوحش الذي يعرف كيف يستبدل وجهه وثيابه متى شاء !

٤

في المكان المهجور من نابولي •• حيث ينتظر « جون » والرجل السمين أخبار بنيامين •• كان كمال وسندس يأكلان طعام العشاء بلا رغبة ••

كان الرجل السمين يحتسي قناني البيرة بنهم غريب كأنه يهرب من شيء خطير •• ولم يكن في حوزتهم سوى بقية ليست كثيرة من هذه القناني •• فقال له جـون :

ــ ما بالك يا هذا ؟ لقد أجهزت على كمية كبيرة من البيرة ، ألا تفكر بغيرك أيها الاحمق !

لكن السمين لم يلتفت الى شتائم « جون » وراح ينظر الى سندس وهي تنام على أرض جرداء وسخة ، وفكر :

— ما ذنب هذه الطفلة ؟

لكن النقود التي ينتظرها أغلقت بـاب عاطفته فراح يحتسي البيرة كأنه يريد أن يمنع نفسه من التفكير بهؤلاء الاطفال ..

ضاق « جون » بما يفعل السمين ، لذلك مد يديه وأخذ منه كاس البيرة المملوء وهو يصرخ في وجهه :

— يالك من أناني وغبي .. اننا نبعد عن نابولي مسافة ساعتين بل اكثر ، وأنت تشرب اكثر من نصيبك من البيرة ..

ثم صرخ به بأعلى صوته :

— اترك بعضها لي أيها الغبي !

وعندما سحب الكأس اندلقت البيرة على وجه سندس التي استيقظت بفزع كبير وهي تصرخ : ماما .. ماما .. أنا أغرق يا ماما ..

ثم سرعان ما بكت سندس ، عندما تذكرت أنها بلا أم وانها تعيش مع والدها المليونير محرومة من حنان الام .. لذلك ازداد نحيبها وجعا ..

نظر السمين الى « جون » وشعر في تلك اللحظة ان السماء قد انطبقت على الارض .. انتابه شعور حارق بأنه مجرد شيء حقير لا يحترمه أحد ..

صرخ في وجه « جون » لاول مرة في حياته :

— يالك من وغد .. من تظن نفسك ؟ أنت مجرد لعبة في أصابع بنيامين ..

ورفع يده أراد أن يضرب جون ، لكن جـون القوي أسرع اليه وأشبعه ضربا ..

ثم صار يدوس على بطنه بقسوة لا حد لها ..

بينما راح كمال وسندس يصرخان من شدة الخوف ..

انقلب المكان الى ساحة حرب صغيرة ، وبعد قليل تمكن السمين من رفع جسمه الثقيل ، وسرعان

ما رأى نفسه يمسك بعنق « جون » وراح يضيق الخناق عليه بينما كان جون يضربه أسفل بطنه وعلى فخذيه بكل ما يملك من قوة وبأس .. ولكن دون جدوى .. حيث انتهت المعركة الضارية بموت جون مخنوقا تحت جنون السمين الذي راح يصرخ :

— أنا لست غبيا .. أنا لست غبيا ..

بينما كان كمال يرتعش من الخوف ، أصبحت سندس في حال من الرعب والتعاسة وهي ترى الموت لاول مرة أمام عينيها ..

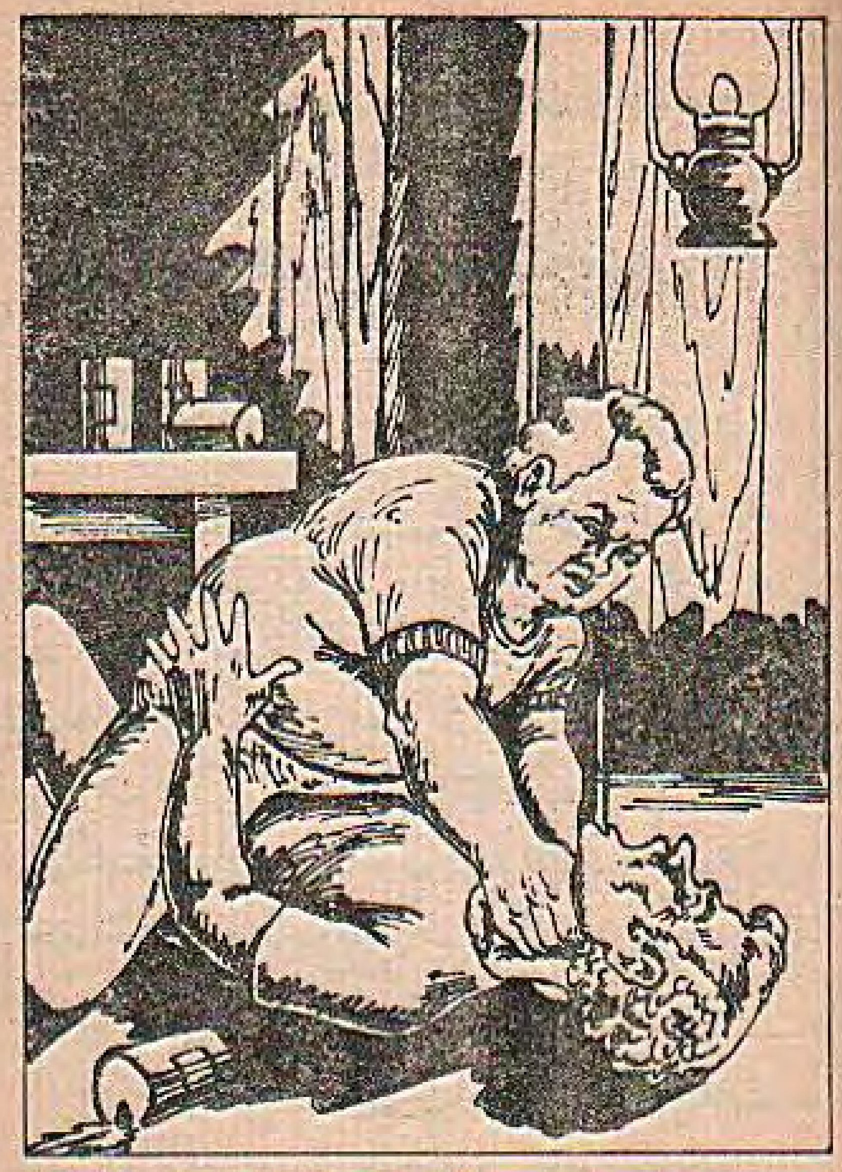
★

في بيروت ..

لم يكن بنيامين يدري بما جرى ..

ومن أين للسيدة محاسن الشط والمليونير مهند خاشع أن يعرفا ما حدث لابنائهم في ذاك المكان المهجور من نابولي !

كل ما يعرفه المليونير انه استلم ورقة جديدة



انتهت المعركة الضارية بموت « جون » مخنوقا تحت جنون السمين الذي راح يصرخ أنا لست غبيا .. أنا لست غبيا ..

بنفس الخط السابق ، رآها هذه المرة تحت مخدته ، وكاد أن يجن من الدهشة ..

— كيف وصل هذا المجرم الخطير الى غرفته ؟ لابد انه في نفس الفندق ..

المهم ، كانت الورقة تقول :

— ضع النقود في سلة الزبالة عند باب غرفتك ، وكذلك نقود السيدة .. وأي خطأ في السلوك يعني موت الطفلين .. أريد النقود بلا مشاكل وتعالا الى مقهى (لازار) جنوب نابولي — مع النصف الثاني من الدولارات — كل فرد هناك يعرف هذه المقهــى .. سترى ابنتك وابن السيدة في تمام السادسة مساء يوم الاحد القادم .. وسوف اخبركم كيف يتم دفع بقية المبلغ .. تذكر ، لا أريد مشاكل .

كان هذا ما قاله المليونير لوالدة كمال ، فقالت له (انها جاهزة للسفر وان النقود في حقيبتها) ..

حسنا ، قال المليونير :

— غدا تأتين قبل العاشرة حتى يتم تنفيذ مـا يريدون منا ثم نحجز مقعدين على أول طائرة تقوم الى ايطاليا ..

قالت محاسن الشط :

— أرجو من الله أن يكون الاطفال بخير ..

أجاب المليونير وهو يداري مشاعرها :

— انهم بخير حتما .. غدا نسافر وبعد يومين فقط سنراهم وننسى كل هذه المتاعب ..

★

أما في المكان المهجور من نابولي ، فقد ملأ الرعب النفوس ، وكانت سندس التي ضربها الرجل السمين بسبب صراخها قد سكتت وانزوت عند الجدار ترتعش من شدة الخوف .. بينما جلس « كمال » في مكانه

مشدود اليدين والساقين بحبل متين .. وكان يفكر .

— لابد من حل .. لابد أن أجد حلا ..

قام الرجل السمين من مكانه وسحب جثة «جون» وتمكن من أخذها في سيارته ، ورماها في بحيرة آسنة بعد أن شد الجثة الى عمود حديدي لئلا تطفو ..

وانتظر ، حتى رأى بنفسه ان « جون » قد ذهب الى الابد .. واحتار فيما سيفعل وكيف يتصرف مع بنيامين الوحش الذي يخاف منه بصورة غير طبيعية !

وعندما رجع الى « الوكر » أخذ يحتسي البيرة وهو يرتجف من الخوف كلما تذكر وجه بنيامين ..

ولم يسعفه العقل في حل لهذه المشكلة ، سيما وان بنيامين كثير الاعتماد على صاحبه جون لانه المنفذ لكل ما فات من جرائمه السابقة ..

نظر السمين الى كمال وسندس ..

انهما — الان — يعرفان كل شيء .. هل يقتلهما ؟ ثم يقول ان جون هو الذي فعل هذا ؟

لن يصدقه بنيامين مطلقا ، ثم انه يتلعثم عندما يكذب في حضرة رئيس العصابة ..

اذن .. هل يأمرهما بالسكوت حتى يأخذ حصته من الدولارات ؟.. وهذا أيضا غير ممكن .. لان بنيامين — كما في كل مرة — لا يأخذ الا نصف المبالغ ولا يقوم بتوزيع النقود حتى يجتمع الثلاثة معا .. وعند اكتمال النقود لديهم !

هل يهرب وينقذ نفسه من غضب « الوحش » ؟..
ولكن هذا أسوأ الحلول ، فهو يريد حصته من هذا المبلغ الكبير ..

اذن ..

ليس من حل سوى أن يقتل « بنيامين » كما فعل مع « جون » وليس من أحد سيعرف ما جرى أبدا ..

حسنا ، قال مع نفسه :

ـ سأحتفظ بهذين الطفلين حتى يأتي بنيامين وما أن أرى الفرصة سانحة حتى أضربه ضربة واحدة وتكون الاموال كلها معي ..

راح يضحك بصورة هستيرية ويقول بصوت عال :

ـ نصف مليون دولار .. كلها ستكون لي .. وربما أعرف خطة بنيامين وأفوز بالنصف الثاني من النقود ..

وصار يشرب البيرة كأنه يسابق انسانا آخر على بطولة البيرة .. وهو ينظر الى كمال وسندس ويضحك مثل مخبول :

ـ سيكون عندي نصف مليون دولار ، أنت بربع مليون وهذه الصغيرة بربع مليون أيضا .. ها .. ها ..

صار السمين يثرثر اكثر مما يجب ويعترف بكل شيء أمام الصغيرين وهما مقيدان تحت رحمته وثرثرته المقرفة ..

وفكر كمال ان هذا الرجل السمين سيقتل « بنيامين » حتما ، ما دام قد فعلها مع « جون » وانه لن يترك بعد جرائمه المتكررة أي شاهد عليه ، حتى اذا كان في عمر سندس أو عمره ..

لهذا كان عليه أن يبحث عن وسيلة ينقذ بها نفسه وينقذ هذه الطفلة التي لا ذنب لها في شيء ..

بعد ثلاث ساعات ..

امتد الليل وأمطرت السماء وتغيرت ألوان السحب البيض الجميلة ، وصار الرعد القوي يغطي الدنيا كلها ..

كانت آخر كأس من البيرة قد سقطت من يد الرجل السمين وغط في نوم عميق يعلو شخيره مع

صوت الرعد فيثير جوا من القشعريرة في الوكر المهجور ..

كان كمال ما زال صاحيا يفكر في حل لهذه المحنة ..

وعندما رأى الكأس المكسور شعر بأول خيط من النجاة يتسرب الى عقله المتعب .. واستيقظ كل شيء فيه وابتسم في وجه الحياة ..

وانتظر حتى سمع شخير الرجل السمين يعلو ويعلو ..

بعدها راح يزحف ببطء وحذر حتى تمكن من أخذ كسرة من الزجاج .. كان بين لحظة واخرى ينظر الى وجه السمين ويزداد اطمئنانا الى الحال الذي هو فيه ..

ثم عاد الى مكانه بنفس البطء والحذر ..

وكان عليه أن يوقظ سندس بدون ضجة وبلا أي كلام أيضا ..

ـ لا أريدها أن تصرخ والا ذهبنا معا في ورطة لن ينقذنا منها أحد ..

اقترب كمال من سندس .. وكانت تغرق في نوم عميق بسبب الخوف والتعب الذي عانت منه طوال النهار ..

ولما اقترب منها كمال اكثر ، راح يضربها بكتفه يحاول أن يوقظها حتى يفك أطرافها المشدودة وحتى تتمكن بدورها من قطع الحبل الذي يمتد حول رسغيه ورجليه !..

ورغم ان لسانه أفلت منه وقال (سندس) اكثر من مرة واحدة ، لكن الصغيرة كانت تحلم مثل الملائكة ولم تشعر بما يدور حتى مر وقت ليس بالقصير .

وبعد محاولات كثيرة ..

وبعد أن كاد اليأس يملأ قلب كمال ، استيقظت سندس مذعورة .. ولما رأت وجه كمال شعرت

بالاطمئنان ..

غمزها كمال بعينيه وهو يشير الى الرجل السمين النائم وفهمت سندس كل ما يريد كمال ..

مدت يدها المشدودة الى كمال ، فتمكن من قطع الحبل المفتول حول رسغيها الطريين .. وتم هذا في وقت جد قصير .. وندت عن الصغيرة كلمة تأوه واحدة سرعان ما أغلقت فمها ــ بعدها ــ ولم تفتحه مطلقا ..

ثم أخذت بدورها تقطع الحبل الغليظ الذي يلتف حول يديه .. وكان الخوف من الرجل السمين يزداد ويكبر كلما تحرك في نومه قليلا ..

لكن سندس استطاعت ان تقوم بهذا العمل ، ثم اكمله كمال حين قطع الحبل من حول رجليه وكذلك كان الامر مع الصغيرة سندس ..

ثم مد اصبع السبابة على فمه يشير عليها أن تبقى صامتة حتى يفتح الباب .. وكان هذا البـــاب



ثم أخذت تقطع الحبل الغليظ الذي يلتف حول يديه

الخشبي من النوع العتيق الذي يصر صريرا مزعجا ..

وراحت سندس تمشي خلفه على أطراف أصابعها .. ثم تمكن كمال بذكاء يحسد عليه من فتح الباب دون ضجة كبيرة وخرجا من الوكر المهجور الى مكان شبه صحراوي لا يدري أحد كيف يقطعه والى اين يمضي فيه ؟..

لكن كمال وسندس راحا يركضان بسرعة مجنونة تحت المطر الغزير الذي بلل كل ثيابهما ولم يتوقف الا بعد ربع ساعة من الركض السريع ..

نظرا الى الخلف ، صار الوكر بعيدا ، أو هكذا تخيل الصغار ..

قالت سندس وهي تلهث :

ـ لقد ابتعدنا عنه .. لن يستطيع العثور علينا .. أليس كذلك يا كمال ؟.. هل ابتعدنا كثيرا ؟..

لكن كمال قال لها :

ـ لقد كنت غبيا .. ونسيت أن افرغ عجلات السيارة من الهواء لئلا يلحق بنا .. علينا اذن أن نسرع مهما كان ..

قالت سندس بذكاء :

ـ وهل تستطيع السيارة أن تمشي على هذا الطين أم أنها ستغوص في الوحل ولن تتحرك ؟

شعر كمال ان ما تقوله سندس معقولا فعلا ، لكنه صار يداري خجله بقوله :

ـ مع هذا لابد ان نسرع .. لاننا اذا رجعنا الى الوكر لن نخرج أحياء منه ..

وعادا يركضان بكل ما يملكان من جهد .. حتى اقتربا من شجرة باذخة جلسا تحتها يلتقطان أنفاسهما من شدة الارهاق ..

قالت سندس :

ـ أنا متعبة يا كمال .. لا أستطيع أن أركض

اكثر من هذه المسافة ..

أجاب كمال :

ـ حسنا .. المهم اننا ابتعدنا .. وحتى الان ليس من أثر للرجل السمين .. لقد شرب الكثير ولن يستطيع أن يمشي نصف هذه المسافة ..

كم شعرت (سندس) بالفرح وهي تسمع ما قاله كمال ونظرت الى السماء كأنها تصلي ..

لكن المطر ما زال ينهمر على كل جزء من مدينة نابولي ..

★

٥

في بيروت ..

تمكن « بنيامين » الوحش من أخذ الدولارات بعد أن رآها في سلة الزبالة ، وصار ينظر الى النقود بفرح طفولي مملوء بالخبث ، وفكر في نفسه :

ـ هناك نصف مليون أخرى في نابولي ، كم تبدو الحياة سهلة وجميلة مع هذه الكمية من الفلوس..

لكن بنيامين لم يذهب عن طريق المطار الى ايطاليا وانما سافر على أول باخرة تمخر عباب البحر الابيض المتوسط الى ميناء نابولي الكبير ..

وفي الوقت نفسه كان المليونير مهند خاشع والسيدة محاسن الشط يقطعان سماء بيروت الى

مطار روما .. وكانا سوية يفكران بما جرى للصغار حتى انهما لم ينظرا الى البحر من نوافذ الطائرة ..

★

عندما هبطت الطائرة اللبنانية في مطار روما ، أسرعا في الذهاب الى نابولي التي تبعد مسافة ساعة واحدة ونصف الساعة عن العاصمة .. وذهبا في البداية الى فندق « كالينو » الذي سبق أن بقيا فيه بعض الوقت .. كان اليوم الذي وصلا فيه هو الجمعة وعليهما الانتظار حتى مساء يوم الاحد ليذهبا الى مقهى (لازار) مع بقية النقود لاستلام سندس وكمال ..

بينما وصل بنيامين مع النقود يوم السبت واتجه مباشرة الى الوكر سعيدا بما أنجز من عمل خطير ..

كان الرجل السمين قد اكتشف هروب الصغار ، ولكن في وقت متأخر ، ورغم انه طاردهما اكثر من ساعتين بسيارة « الفراري » واكثر من ساعتين على

رجليه بسبب الطين الذي حال دون مرور السيارة الى الشارع العام ، لكنه لم يستطع العثور عليهما ابدا ..

وقرر الرجل السمين ــ رغم بلادته ــ أن ينتهي من العيش بهذه الطريقة المزحومة بالمخاطر .. وما كان في عقله من فكرة سوى قتل (بنيامين) وأخذ النقود منه حتى يعيش مرفها طوال ما بقي من حياته !

لذلك جعل من الوكر (الفخ) الذي سيصطاد به بنيامين ويقضي عليه !

حفر السمين حفرة عميقة عند الباب .. أرهق نفسه اكثر من عشر ساعات حتى تكون الحفرة عميقة جدا .. وفكر في نفسه :

ــ ما أن يدخل بنيامين حتى يسقط فيها ويكون من السهل أن أضربه برصاصة واحدة ثم أرميه في البحيرة حتى يلتقي صديقه جون .. وبعدها أصبح غنيا جدا ويمكنني أن أغادر ايطاليا وأبدأ حياة جديدة

في أي مكان آخر .. ولن يكتشف أمري أحد !

★

أما سندس وكمال ، فقد وصلا في فجر هـذا اليوم ــ وبعد أن ركضا اكثر من ساعة ونصف الساعة تحت المطر وفي أرض وعرة ــ وصلا الى الشارع الذي ــ قد ــ تمر عليه عربة حمولة أو سيارة عادية تنقلهما الى مكان أمين والى أقرب نقطة للشرطة ..

وكان هذا ما جرى فعلا ..

حيث مرت عربة شبه مهدمة يسحبها حصان عجوز ويقودها رجل عجوز أيضا .. قال لهما :

ــ ماذا تفعلان في هذا المكان المقطوع ؟ مـنذ سنة واحدة لم ار أحدا على هذا الطريق !.

وراح كل من سندس وكمال يحكيان القصة من بدايتها لهذا الشيخ العجوز .. وتم أخذهما الى أقرب نقطة للبوليس الطلياني ..

وهناك قال كمال كل ما يعرفه عن عصابة بنيامين الشرير التي اختطفتهما من الميناء عند انقاذ ركاب طائرة البوينغ ..

كانت سندس سعيدة جدا وتصرخ بين لحظـة وأخرى :

ــ متى أرى بابا ؟ انه لا يعرف ما جرى ..

أما (بنيامين) فقد وصل منطقة الوكر متخفيا بمظهر رجل فقير ، ولكنه كان يحمل هذه المرة ما لا يملكه الفقراء أبدا : نصف مليون دولار عملة صعبة تكفي بقية العمر وتزيد !

وصار بينه وبين المكان مسافة أمتار قليلة .. كان يمشي محني الظهر مثل أي شحاذ مسكين ، ولكن هذه الصورة ــ بالطبع ــ ليست جديدة على الرجل السمين فهو يعرف الاقنعة التي يلبسها بنيامين الوحش في كل مرة يخرج فيها الى صيد جديد !

عندها شعر بنيامين أن شيئا غريبا قد جرى في غيابه ، السيارة الملطخة بالطين ، وحبال مقطوعة تشبه تلك التي ربطوا بها سندس وكمال ، اضافة الى شيء مهم ، هو ان (جون) لم يستقبله عند الباب كما يفعل في كل مرة ..

الصمت يملأ المكان ..

واحساس بنيامين يقول له ان هناك مؤامرة تحاك ضده في الخفاء .. قال مع نفسه :

— ترى ماذا جرى ؟ هل يعقل أن يخونني جون من أجل النقود ؟ لا اصدق ..

وخلف الباب كان الرجل السمين قد رأى بنيامين من شقوق الخشب العتيق ..

لذلك سحب أقسام مسدسه ووقف مستعدا لقتل هذا الوحش الذي أرعبه طوال السنين الماضية !

كانت الحفرة العميقة التي حفرها الرجل السمين



عندها شعر بنيامين ان شيئا غريبا قد جرى

جاهزة لاستقبال « بنيامين » وكانت الرصاصة هي الاخرى جاهزة تماما لقتل رئيس العصابة ..

لكنه تأخر في الدخول اكثر مما يجب !

انه يحوم حول « الوكر » دون أن يدخل أو يطرق الباب وجن جنون السمين يسأل نفسه :

ـ ماذا أفعل ؟ انه لا يدخل ..

ولما طال بقاء بنيامين خارج الوكر ، استغرب الرجل السمين وصار الخوف يمسكه من كل مسامة من مسامات جسمه المنفوخ مثل بالونة .. وشعر بأنه يقترب من نهاية غامضة ورهيبة ..

نهاية لا يدري بها أحد .. تماما مثل نهاية جون الذي ابتلعته بحيرة آسنة !

نظر من شقوق الوكر ـ مرة ثانية وثالثة ـ وتأكد ان (بنيامين) لا يريد الدخول قبل أن يكتشف الحقيقة ..

★

ارتبك كل عصب من أعصاب الرجل السمين واختل عقله وصار لا يعرف ما يفعل ..

وقرر ـ فجأة ـ أن يخرج بنفسه من الوكر .. وأن يضرب (بنيامين) قبل أن يكتشف الحقيقة وقبل أن يهرب منه وتذهب النقود من بين يديه .. لا يريد أن يخسر هذه الدولارات الجميلة التي تجعله يهاجر الى أي بلد يشاء .. كلا .. لا يريد أن يخسر ..

وما أن أسرع الرجل الغبي في الخروج ، حتى كان قد نسي الحفرة العميقة التي حفرها بنفسه وملأها بالشوك اليابس والعاقول المدبب .. فسقط فيها وهو يئن ويصرخ بصوت عال جراء ارتطام جسمه السمين بقاع الحفرة وتشقق لحمه بالشوك والعاقول ..

وفي الوقت نفسه سقط المسدس من بين يديه وركن عند حافة الحفرة تماما ..

عندها ..

دخل بنيامين ورأى صاحبه ذا الكرش العالي متكوما في حفرة لم يكن قد رآها من ذي قبل ورأى المسدس عند حافة الحفرة جاهزا للقتل ..

هز رأسه أسفا ، وقال للسمين :

ـ هكذا اذن ايها الاحمق ..

ثم صرخ به :

ـ أين ذهب الاطفال ؟ تكلم .. ماذا جرى في غيابي أيها المعتوه ؟.

ثم شهر بوجهه المسدس وهو يقول :

ـ اخبرني بسرعة قبل أن أدفنك حيا في هذه الحفرة ؟ لم اكن أصدق أن تفعل شيئا أنت !

كان السمين يرتجف هلعا ..

لقد وقع في المصيدة التي نصبها بنفسه ، ولم يعد قادرا على فعل أي شيء !..

نعم .. لقد ضاع الى الابد وضاعت معه النقود .
أخبر بنيامين بكل ما جرى وكيف انه تشاجر مع جون بسبب البيرة وكيف قتل جون وكيف هرب منه الصغار ..

كان يتحدث بخوف عظيم وهو يبكي ويتضرع أن يرحمه بنيامين وأن يصير له خادما طوال ما بقي له من عمر .. كان يتوسل ثانية بعد ثانية !

★

لم يستطع بنيامين أن يصدق نصف ما جرى .. أكله الحقد والغضب على هذا الغبي الذي قتل ساعده الايمن (جون) وكان السبب في هروب الصغار وهروب نصف مليون دولار اخرى ..

فكر أن يسرع وينفذ خطة ثانية للحصول على الدولارات التي جاء بها مهند خاشع ومحاسن الشط ..

ولكنه قبل أن يذهب .. وفي حالة الغضب التي

مزقته تماما ، رفع المسدس في وجه الرجل السمين .. وأراد أن ينتهي منه الى الابد ..

لكنه لم يطلق النار ..

فقد سمع صوتا خشنا يقول من خارج الوكر :

ـ المكان محاصر .. لا أمل لكم في النجاة .. اخرجوا بسرعة .. الشرطة في كل مكان ..

نظر بنيامين الى وجه الرجل السمين وقال :

ـ هل رأيت أيها الغبي ؟ هذا جزاء ما فعلت .. لقد هدمت كل شيء !

وخرج بنيامين رافعا يديه أعلى رأسه ، فاقترب منه أحد رجال الشرطة وقال له :

ـ وأين بقية الرجال ؟ هل أنت وحدك الذي اختطفت الصغار ؟..

أجاب بنيامين وهو يشير الى الوكر :

ـ هناك واحد في الداخل ، لكنه في حفرة عميقة لا يستطيع الخروج منها ..

ثم سكت قليلا وقال بحزن كبير :

ـ والثاني في قاع البحيرة .

★

كان كمال وسندس قرب سيارة البوليس .. رآهما بنيامين وقال بهدوء غريب :

ـ كنت أعرف ان الجريمة لا تفيد .. نعم ، الجريمة لا تفيد مهما طال الزمن ..

وبينما خرج الرجل السمين من الوكر وهو مزروع بالشوك ونبات العاقول من أعلى رأسه حتى قدميه ، حتى انفجر الجميع بضحكة واحدة .. بل ان بنيامين الوحش رغم حزنه الكبير صار يضحك من هذا الغبي الذي وقع في حفرة حفرها بنفسه !

ثم استعد رجال الشرطة للرجوع الى قلب مدينة نابولي ..

عندها التفت بنيامين الى مفتش الشرطة وقال له بصوت كان يسمعه كمال وسندس :

ـ والدة كمال ووالد سندس ينتظران الصغار في مقهى « لازار » جنوب نابولي في الساعة السادسة مساء ..

★

كانت الشرطة قد اخذت النقود .. وعندما سمع المفتش كلام بنيامين عن مقهى لازار ، نظر الى كمال وقال له :

ـ هذه النقود ترجع معكم .. حتى تصير المفاجأة اكبر مما ينتظرون ..

ضحك كمال وسندس وذهبا معا الى تلك المقهى ، حيث كان المليونير مهند خاشع والسيدة محاسن الشط

ينتظران أولادهما بخوف كبير ، سرعان ما صار هذا الخوف اكبر فرحة وأعظم مفاجأة عاشها كل واحد منهما منذ سقوط طائرة البوينغ في البحر الابيض المتوسط ..

بل هي اكبر فرحة عاشها الجميع منذ أن بدأت الحياة رحلتها الى المجهول ..

★